

العوامل المؤدية الى التسرب المدرسي في الجزائر

دراسة سوسيولوجية

أ.رحموني بومدين جامعة- أدرار

أ.سلامي فاطمة جامعة- أدرار

الملخص

تعمل المدرسة على توفير مختلف الظروف والإمكانيات اللازمة من خلال تهيئة بيئة صافية صالحة للتعليم، حيث تعتبر الملتقى العام الذي يلتقي فيه المعلم والتلاميذ مع بعضهم البعض، من خلال الإتصال والتفاعل والمهارات المتصلة بتنفيذ الدرس، وخلق بيئة صافية تتوفر على الرعاية التربوية، التعليمية و النفسية للمتعلم. ونظرا للأثر البالغ لهذه البيئة على هذه الشريحة فان أي تقصير يؤدي الى خلل في دور المدرسة، فيخلق صعوبات ابرزها التسرب المدرسي الذي يعتبر كظاهرة اجتماعية في المجتمع الجزائري.

Résumé :

L'école fonctionne sur la fourniture de diverses conditions et les ressources nécessaires à travers la création d'un environnement valable, descriptif pour l'apprentissage, ou est le forum de l'année pour rencontrer l'enseignement et les étudiants les uns avec les autres, par la communication et les habiletés d'interactions liés à la mise en œuvre de la leçon, et créer un environnement descriptive disponible pour faire favoriser les soins, l'éducation et de mentale de l'apprenant. En raison de l'impact de cet environnement sur ce segment, tout manquement entraine un déséquilibre dans le rôle de l'école, créer des difficultés, le plus important de ce qui est d'abandon comme un phénomène social dans la société algérienne.

مقدمة:

لقد شكل التعليم أحد الأولويات الأساسية في السياسة التنموية الشاملة التي اتبعتها الجزائر مباشرة بعد حصولها على الاستقلال في 5 جويلية 1962، واعتبر الدستور الجزائري الصادر سنة 1963، والمواثيق والنصوص الأساسية المرجعية التي تستمد منها السياسة التعليمية، أن التعليم هو العنصر الأساسي لأي تغيير اقتصادي واجتماعي، والأمر 35-76 المؤرخ في 16 أفريل 1976 أول نص تشريعي على هذا المستوى وضع المعالم والأسس القانونية للنظام التعليمي الجزائري وشكل الإطار التشريعي لسياسة التربية، حيث أدخل إصلاحات عميقة وجذرية على نظام التعليم في الإتجاه الذي يكون فيه أكثر تماشيا مع التحولات العميقة في المجالات الاقتصادية والاجتماعية، وقد كرس الأمر لسابق الطابع الإلزامي للتعليم الإلزامي الأساسي ومجانيته وتأمينه لمدة 9 سنوات، وأرسى التوجيهات الأساسية للتربية الوطنية، من حيث اعتبارها منظومة وطنية أصيلة بمضامينها وإطاراتها وبرامجها وديموقراطية في إتاحتها فرصا متكاملة لجميع أطفال الجزائر وأكثر تفتحا على العلوم التكنولوجية (1).

والتسرب المدرسي ليس مشكلة وطنية فحسب، بل مشكلة عالمية، تكاد تكون العوامل المؤثرة فيها واحدة مع الاختلاف في درجة حدتها وطبيعتها، وانعكاساتها، بين بلد وآخر وحتى داخل البلد الواحد. وقد ينتج من ظاهرة التسرب الدراسي عدة مشاكل منها، أن هذه الظاهرة تفرز للمجتمع ظواهر خطيرة، كعمالة الأطفال واستغلالهم، الأمر الذي يؤدي إلى زيادة حجم المشكلات الاجتماعية كانهراف الأحداث، وانتشار السرقات والاعتداء

1 - وزارة التربية الوطنية ، النظام التربوي الجزائري ، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية ، 2002 ص8-9.

على ممتلكات الآخرين مما يؤدي إلى ضعف المجتمع وانتشار الفساد فيه، وكذلك تزيد معدلات الأمية والجهل والبطالة وتضعف البنية الاقتصادية والإنتاجية للمجتمع والفرد وتزيد الاتكالية والاعتماد على الغير.

وقد ارتأينا أن نتناول في هذا المقال عدة محاور وعناصر تعطي الصورة الواضحة حول التسرب المدرسي في الجزائر على وجه الخصوص وهي كالآتي:

1- تعريف التسرب المدرسي.

2- العوامل المؤثرة في عملية التسرب المدرسي.

2-1- عوامل صحية.

2-2- عوامل عقلية.

2-3- عوامل نفسية.

2-4- عوامل أسرية واجتماعية.

2-5- عوامل اقتصادية.

2-6- عوامل ثقافية.

2-7- عوامل بيداغوجية.

3- بعض الآراء والاتجاهات المفسرة لظاهرة التسرب المدرسي.

1- تعريف التسرب المدرسي:

يختلف مفهوم التسرب المدرسي من بلد الى آخر حسب سياسة التعليم في البلد نفسه، ففي بعض الدول يعني التسرب : (ترك التلميذ للمدرسة قبل انتهاء الصف السادس الابتدائي)، فيما يشمل في دول أخرى (كل تلميذ ترك المدرسة قبل اكمال المرحلة المتوسطة)، وتذهب بعض الدول في أن التسرب ينطبق على (كل تلميذ ترك المدرسة قبل اكمال المرحلة الثانوية) .. علماً أن هناك عدد من الدول لم توثق أنظمتها التعليمية مفهوم التسرب المدرسي.

ولقد عرفت اليونسيف Unicef التسرب المدرسي عام 1992 "بعدم التحاق الأطفال الذين هم بعمر التعليم بالمدرسة، أو تركها دون اكمال المرحلة التعليمية التي يدرس بها بنجاح، سواء كان ذلك برغبتهم أو نتيجة لعوامل أخرى، وكذلك عدم المواظبة على الدوام لعام أو أكثر.¹

ولقد يكون للتسرب المدرسي عوامل عدة ومتداخلة تساهم بشكل كبير في انتشار هذه الظاهرة يمكن ذكر البعض منها في هذا المقال.

2- العوامل المؤثرة في عملية التسرب المدرسي:

-العوامل الذاتية:

وهي العوامل التي تتعلق بالتلميذ في حد ذاته وتتمثل في صحته الجسدية والعقلية والنفسية وهي كالآتي:

-2-1-العوامل الصحية :

"إن ضعف بنية التلميذ وتدهور صحته يحول دون قدرته على الانتباه والتركيز، والمتابعة بحيث يصبح أكثر قابلية للتعب والتعرض للإصابة بأمراض مختلفة، بدورها تعطله عن الدراسة، كما أن ضعف السمع والنطق والعاهات الحركية تؤثر على تحصيله الدراسي إضافة إلى الأثر النفسي الذي تحدثه للطفل، خاصة إذا ما قارن نفسه بزملائه مما يشعره بالإختلاف والنقص (2).

وللمدرس دور كبير في تخفيف أو زيادة حدة الأثر النفسي للإعاقة على التلميذ، فعليه أن يتيح له فرصة أداء عمل ما أمام أقرانه

¹ سليمان الدوسري، قاموي المصطلحات، تعريف التسرب المدرسي، 16-01-2009، www.manhal.net
2 - يوسف القاضي، الإرشاد النفسي والتوجيه التربوي ، دار المملكة العربية ، ط 1 السعودية ، بد ن سنة ، ص 451 .

بنجاح، وأن يجنبه المواقف المحبطة التي تؤدي إلى الفشل وخيبة الأمل، وأن يعفيه من المواقف التي تظهره بأنه أضعف من غيره(1).
فالحالة الصحية للطفل تؤثر بشكل قوي على قدرته على التحصيل خاصة إذا كان مصابا بعاهة خلقية أو مرض مزمن أو معد هذا ما يصعب عليه الاندماج في الوسط المدرسي، ويجعله يفقد ثقته بنفسه، كما يتسبب له التغيب عن المدرسة للعلاج في تأخره عن دروسه وبالتالي عدم استيعابه لها خاصة إذا كان ذلك يحدث باستمرار.
وهكذا فتدهور حالة الطفل الصحية ينعكس على حالته النفسية ويجعله أكثر عرضة للتسرب من المدرسة خاصة إذا لم يلق التشجيع والمساعدة في الوسط الذي يعيش فيه وفي المدرسة.

2-2-العوامل العقلية: (المدرسة)

يؤثر انخفاض مستوى ذكاء الطفل على قدرته الاستيعابية للمعرفة، فاستعداداته الخاصة وحالته المزاجية، وطرق تفكيره من أقوى العوامل التي تؤثر في تسربه من المدرسة فقد وجدت بيوت BIOUT أن حوالي 10% " من حالات التأخر الدراسي التي قامت بالبحث فيها ترجع إلى الغباء الذي يكون وحده كاف لإحداث التأخر(2).
ويرى كالفن KELVEN أن الذكاء " هو القدرة على التعلم، فكلما زاد مقدار الذكاء ازدادت سرعة الطفل في التعلم من الخبرة، والطفل الذكي بلا شك يستطيع أن يتعلم أكثر من الطفل الغبي الذي مستوى ذكائه محدود، فكما يختلف الأطفال في قدراتهم الجسمية، فهم كذلك يختلفون

¹ - يوسف القاضي ، نفس المرجع ، نفس الصفحة .

² - حامد عبد السلام زهران، علم النفس التربوي ،دار القلم ، الكويت ، 1982 ، ص 244 .

في قدراتهم على تعلم الأشياء الجديدة وقدرتهم على التركيز والإستفادة من الخبرة السابقة والتكيف مع المواقف الجديدة(1).

وفي هذا يقول عباس محمود عوض، أنه يمكن للباحث أن يضع تعريفا إجرائيا عن الذكاء ويعرف بأنه " قدرة موروثة كامنة، قابلة للنمو والتطور من خلال ما يوفره المجتمع للفرد من وسائل تساعد على نموه وبروزه(2).

ووجد " أن الذكاء يساعد على النمو العقلي والإنفعالي في مرحلة ما قبل المدرسة لذلك يجب أن تتوفر البيئة الإجتماعية المناسبة والتي يتفاعل فيها مؤثرا ومتأثرا(3).

فالتكوين العقلي للطفل مرتبط ومتلازم مع تكوينه الإنفعالي، متأثر بالبيئة الإجتماعية التي ينشأ فيها، وعندما نتحدث عن النمو العقلي نعني به تنمية القدرات العقلية مثل الذكاء والتفكير والانتباه والتخيل والتركيز.... إلخ. فالتحصيل مرتبط بالقدرات العقلية التي يمتلكها التلميذ غير أنه لا بد من عدم إهمال الفروق الفردية بين التلاميذ والتي ترتبط أساسا بالعوامل البيولوجية والعوامل البيئية، فالطفل الذي ينشأ في أسرة مستواها التعليمي منخفض سواء بالنسبة للأبوين أو بالنسبة للإخوة لا تنمو قدراته العقلية بالشكل المناسب، خاصة إذا كانت الظروف المادية لأسرته لا تسمح له بتغطية ذلك العجز، إضافة إلى تأثير المحيط الاجتماعي لجماعة الرفاق وهكذا فإنه كلما كانت العوامل

1 - حسنين عبد الحميد ، أحمد رشوان، دراسة في علم الاجتماع النفسي ، المكتب الجامعي الحديث ، ط2 ، الإسكندرية ، 1999 ، ص26 .

2- رشاد صالح دمنهوري ، عباس محمد عوض، التنشئة الاجتماعية والتأخر الدراسي ، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ، مصر 1995، ص 97 .

3- أحمد سعد مرسي ، كوثر حسين كوكب ، تربية الطفل، عالم الكتب ، ط 2 ، بيروت ، 1997 ، ص 62 .

غير ملائمة كان النمو العقلي للطفل ضعيفا وهذا ما يتسبب في ضعف نتائجه المدرسية وبالتالي يتعرض للتسرب من المدرسة.

2-3-العوامل النفسية:

"يعتبر الجانب النفسي مقوما أساسيا للشخصية الإنسانية كما أن له تأثير كبير على الصحة الجسمية، وعلى الأدوار وبناء العلاقات الاجتماعية للتلميذ، ويتجسد عن طريق السلوك والفعل الاجتماعي الذي له تأثير واضح على مستواه التحصيلي، ذلك أن الحالة التي يكون عليها التلميذ مثل حالة الإكتئاب والقلق أو الخوف تؤثر على مدى تحصيله⁽¹⁾.

فقدرة التلميذ على النجاح مرتبطة أساسا بالتوافق مع نفسه ومع غيره، لذلك أرجع العلماء أثر الجوانب النفسية و الانفعالية في التسرب المدرسي لسببين هما:

أولا : التكيف الذاتي وسوء التكيف النفسي، وهذا يصحب بالإضطرابات النفسية كحالات القلق التي يعاني منها التلميذ، والتي تحول دون قدرته على الانتباه والتركيز، والمتابعة للدرس، مما يؤثر سلبا في تحصيله الدراسي.

ثانيا : الأطفال الذين لا تسمح لهم الظروف أن ينمو نموا اجتماعيا سليما، فهم الأطفال المدللون الذين يكونون عاجزين على التكيف مع المحيط الاجتماعي المدرسي والشيء نفسه بالنسبة للأطفال الذين يعانون الحرمان العاطفي الذي تتميز به العوامل المنزلية والمؤثرة في تحصيل التلميذ.

ولقد ذهب بورتن وايت BORTEN WHITE إلى " أن شخصية الطفل في السنوات الثلاثة الأولى تكون متميزة، وعلى هذا الأساس يجب على

1 - رشاد صالح دمنهوري ، عباس محمد عوض ، مرجع سابق ص 88 .

الأولياء إشعار الطفل بالأمن والعطف، ففي السنوات الأولى من عمره يحتاج إهتمام وعطف كبيرين من طرف أمه، فإن حرمان الطفل من هذا العطف تعرض شخصيته إلى اضطرابات نفسية لا يمكن ملاحظتها إلا في وقت لاحق (1).

فالأطفال المصابون بالخمول والإنطواء والإحباط وفقدان الثقة في النفس، بالإضافة إلى سوء تكيفهم، هم منسحبون لا يمتلكون عنصر المبادأة أو المبادرة، لذلك فإن عدم النضج الإنفعالي يعتبر واحد من أبرز المسببات النفسية في التأخر الدراسي، كما أن إصابة الطفل بمشكلات نفسية أخرى كقضم الأظافر والتبول اللاإرادي والكذب وحتى الانحراف، وكل هذا قد يكون سببا في تأخر الطفل دراسيا، إذ تمتص الكثير من جهده ونشاطه وتفقده الحماس للتحصيل الدراسي.

ومن السمات الانفعالية للمتأخرين دراسيا الميل إلى العدوان على السلطة المدرسية ويتسمون بالاكتئاب والقلق ويعانون من الاضطرابات الانفعالية، وعدم ثبات الانفعالات لوقت طويل، كما يعانون من الشعور بالذنب ومن المخاوف نتيجة لإحساسهم بالفشل، واتجاهاتهم السلبية نحو رفاقهم ونحو ذويهم كذلك، ولا يقيمون علاقات مع الآخرين وإذا وجدت تتسم بالسطحية، ونجدهم لا يتقنون في معلوماتهم لذلك نجد إجاباتهم تحتوي على كثير من الردود الانفعالية السلبية حتى تتعقد حياتهم فيلجئون إلى الانعزال والانغلاق على أنفسهم.

هناك أيضا مرض الفصام وهو ضمن الأسباب التي تؤدي إلى التسرب المدرسي للتلميذ، إذ أنه يبدأ ببطء لا يلاحظه أحد، وفي هذه الحالة نجد التلميذ يجلس لساعات طويلة أمام كتبه إلا أنه لا يستطيع

1-رشاد صالح دمنهوري، عباس محمد عوض، المرجع السابق، ص 81 .

استيعاب ما يقرأ .ويتكرر رسوبه في الامتحان فيبدأ في الانطواء، والانعزال وإهمال ذاته، وقد يبدأ أفراد أسرته في إهابته وصب اللوم عليه نظرا.

لفشله المتكرر خصوصا إن وجد له أخ أصغر منه سنا قد سبقه في الدراسة وأنه لا يصلح أن يكون فردا في أسرة ناجحة وهذا ما يدفعه إلى فقدان الثقة بنفسه (1).

إضافة إلى حالات القلق والاكتئاب ومثل هذه الحالات تؤدي إلى صعوبة التركيز، بل ويعاني مريضها من النسيان المستمر، والأرق وفقدان الشهية للطعام، مع عدم الميل إلى الاختلاط بالناس أو مشاهدة التلفزيون، بل وعدم الاهتمام بالمظهر والنظافة، والنتيجة هي الانعزال عن المجتمع، وعدم الرغبة في النجاح مع التقليل من قيمة الذات واحتقارها وهو يؤكد على أنه مقصي من مبدأ الاستحقاق في الدراسة، ومن ثمة في الحياة، فلا مكان له بين الناس (2).

ولهذا فتمتع التلميذ بصحة نفسية جيدة جد ضروري في العملية التربوية، لأن قدرة التلميذ على النجاح مرتبطة أساسا على توافقه مع نفسه ومع غيره، فالحالة النفسية للفرد تلعب دورا كبيرا في تحصيله الدراسي فالتلميذ الذي يعيش في وسط عائلي مستقر يسوده الحب والاطمئنان يشعر بالارتياح النفسي الذي يساعده على متابعة دروسه، والعمل للحصول على أفضل النتائج، أما التلميذ الذي لم يوفر له الوسط الأسري، ذلك الارتياح النفسي فيصبح دائم التوتر والقلق والاضطراب مما يؤدي إلى ظهور بعض العيوب المزاجية والصفات الخلقية لدى

1 - رشاد دمنهوري، عباس محمد عوض، المرجع السابق، ص 81.

2 - نفس المرجع، ص 82.

التلميذ كسوء التكيف وعدم المثابرة، ونقص القدرة على التركيز والانتباه (1) وبالتالي يتسرب من المدرسة.

وعليه فإن العوامل الذاتية التي ذكرت سابقا أي الجسمية والعقلية والنفسية، يجب أن تتوفر بصفة كاملة وفي كان واحد فالطفل عبارة عن بناء تكونه أعضاء عضوية وعوامل نفسية، لذلك وجب أن يكون هناك تكامل ما بين هذه الأعضاء والعوامل من أجل أن تقوم المدرسة والأسرة بدورهما باعتبارهما نسق متكامل ومساعد للتلميذ على اكتساب المعارف بأسلوب يتلائم وقدرته الجسمية والعقلية والنفسية ومراعاة كل الجوانب المتعلقة بتحصيله الدراسي. فكلما كان الوسط الذي يعيش فيه التلاميذ غير مستقر كلما كانت نفسيته غير مستقرة وغير هادئة وبالتالي يقلل من مستوى مردوده الدراسي لاكتساب المعارف فكلما كانت نفسية الطفل مضطربة كلما أدى ذلك إلى التقليل من إمكانية نجاحه، وبالتالي تعرضه للتسرب.

2-4-العوامل الأسرية و العوامل الإجتماعية:

باعتبار أن الأسرة "هي الجماعة الأولى التي يتعامل معها الطفل ويعيش فيها السنوات المبكرة من العمر، السنوات التي يؤكد علماء النفس والتربية أن لها الأثر الأكبر في تشكيل شخصيته ويبدأ الطفل في تكوين ذاته والتعرف على نفسه من خلال التفاعل مع أن" الأسرة هي أفراد أسرته لذا تؤكد منظمة الأمم المتحدة للطفولة unicef على أن" الأسرة هي لوحدة الأساسية للمجتمع والوسط الطبيعي للنمو السليم لجميع

1 - نفس المرجع ، ص 81.

أفرادها، خاصة الطفل، إذ يتعلم الطفل كيف يسلك لكي يتلاءم ويتكيف مع الأسرة ومع ثقافة المجتمع والتي هي جزء منه (1) .

وتأكيدا على أهمية الأسرة سعت هذه المنظمة سنة 1999 في محتوى اتفاقية حقوق الطفل، والتي ضمت العديد من دول العالم إلى التأكيد على أن " الأسرة هي المسؤول الأول عن رعاية الطفل "وتضيف سنة 1991 ، أنه "ينبغي من أجل تنمية شخصية الطفل تنمية كاملة ومنسقة، أن ينشأ في بيئة أسرية فيها السعادة والمحبة والتفاهم، وبناءا على ذلك يجب على جميع مؤسسات المجتمع أن تحترم وتدعم الجهود التي يبذلها الآباء وغيرهم من القائمين على تقديم الرعاية من أجل تنشئة الطفل والعناية به في بيئة أسرية (2).

وأكدت نفس الشيء خلال سنوات 1995 / 1997 / 1999 أن البيت المملوء بالخلافات العائلية والاضطرابات العاطفية يؤدي إلى اضطرابات نفسية للطفل، مما يؤثر على إقباله على دروسه إضافة إلى هجر أحد الوالدين، بسبب الموت أو الطلاق، أو في حالات خاصة، أين تكون جماعة الأسرة الطبيعية لم تتكون على الإطلاق" غياب الصفة الشرعية".

فالبيت المضطرب الذي تكثر فيه المشاكل بين الزوجين يفقد الطفل استقراره النفسي وأمنه العاطفي ويشغل عقله بمشاكل الكبار ويلهيه عن دروسه ذلك لإحساسه بأن لا أحد يهتم بنجاحه هذا ما يتسبب في تسربه من المدرسة.

1- سهير كامل ، أحمد، أساليب رعاية الطفل النظرية التطبيقية ، مركز الإسكندرية للكتاب ، 1999 ، ص 15

2 - منظمة الأمم للطفولة ، وضع الأطفال في العالم ، مكتب اليونيسيف للشرق الأوسط وشمال إفريقيا ، عمان ، 1991 ، ص 65 .

كذلك القسوة التي تمارسها الأسرة اتجاه الأطفال، تؤثر على سلوك الأطفال عدوانيا، فالطفل العصبي الذي يعيش في جو أسري مريح يقل سعيه للتسرب، لكن الطفل الذي يعيش في أسرة مفككة، يكون غير قادر على تحمل الضغط المدرسي، وأغلب الأطفال المتسربين من المدرسة هم من الأطفال العصبيين المملين أو المحرومين كليا غير القادرين على تحمل الوضع الأسري، وتعتبر عدوانيتهم ومعارضتهم وسلوكياتهم اللاسوية ما هي إلا "دليل عن رفضهم لواقعهم الاجتماعي وهذا ما يحول دون نجاحهم وبالتالي يتسربون من المدرسة¹.

كما يعتبر ترتيب الطفل في الأسرة محددًا أساسيًا لنوع التنشئة التي يتلقاها في الأسرة، إذ "يحظى الطفل الأول خاصة الذكر باهتمام بالغ في المجتمعات العربية من قبل الأولياء لا يفوقه سوى الطفل الأخير، ويترتب عن ذلك نمط خاص لتنشئة الطفل الأول والطفل الأخير، يختلف عن نمط التنشئة الذي يتلقاه بقية الأطفال، مهما كان مركزهم وجنسهم مما يؤدي إلى الاختلاف والتباين في خبرات الطفولة وفقا لاختلاف مراكزهم وجنسهم، مما يؤثر تأثيرا بالغا في شخصية الأطفال وفي نوعية العلاقة التي تنشأ بينهم وبين البالغين، ويختلف مفهوم الأسرة للتنشئة باختلاف جنس الطفل، إذا كان ذكر أو أنثى.

كذلك، إن العلاقات الاجتماعية داخل الأسرة لها تأثير كبير على تحصيل الطفل، حيث تطرقت عدة دراسات تبحث في العلاقات الموجودة بين التحصيل الدراسي والعلاقات الاجتماعية داخل الأسرة، ومن بينها دراسة بورو POROT تتمثل في مقارنة التلاميذ ذوي التحصيل الجيد مع التلاميذ ذوي التحصيل الضعيف، فتم التوصل إلى أنهم كانوا

¹ ميلودي كياندا، التربية الاجتماعية في رياض الأطفال، ترجمة محمد عبد المجيد عيسى آخرون، دار الفكر العربي، القاهرة، 1992، ص 17.

أكثر شعورا بمشاركة والديهم لهم في نشاطاتهم المدرسية التي يهتمون بها، وفي مشاركة أفكارهم وتأييدهم لها، وكذا تشجيعهم دون الضغط عليهم، لأن الضغط والقسوة، يعيق دراستهم ويؤدي بهم إلى الفشل الدراسي ومنه إلى التسرب من المدرسة (1).

-2-5- العوامل الاقتصادية:

لقد أكد الباحثون على علاقة النتائج الدراسية للتعلم بدخل الأسرة حيث بينت عدة دراسات أن "الأطفال الميسورين اقتصاديا كانت نتائجهم الدراسية عالية، ذلك أن الأسرة تستطيع ضمان حاجات أبنائها المادية من مأكّل ومسكن وألعاب وامتلاك الوسائل التعليمية المختلفة من مكتبة وكمبيوتر، وفيديو، تستطيع أن تضمن مبدئيا الشروط الموضوعية لتنشئة اجتماعية سليمة وتحصيل علمي ومعرفي ويبدوا العكس صحيح و"يحدد العامل الاقتصادي بمستوى الدخل المادي للأسرة، ويقاس من خلالها الراتب الشهري والدخل السنوي (2)".

كما أوضح ميلتزر MILTZER " أن "الأطفال ذوي المستوى المعيشي الاقتصاد المرتفع غالبا ما يتمتعون بالشعور بالأمن الانفعالي أكثر من أطفال المستويات الدنيا وتؤكد ذلك دراسات كثيرة منها دراسة جيدسون 1936 وملكتار لنلاسي 1975 اللذين بينا بأنه "توجد علاقة تربط بين النتائج الدراسية للتعلم والبيئة التي يعيش فيها. كما أن المستوى المعيشي الاجتماعي والاقتصادي له دور فعال في تحديد إنتاجية التعلم في المدرسة، وبذلك يكون" الدخل المنخفض للأسرة عائقا أمام تلبية حاجات كثيرة للحياة.

¹ - Popot (M) : L'enfant et les relations familiales, édition P.U.F, Paris, P 67.

² Vanzine (G) : L'échec scolaire, édition P.U.F, Paris, 1987, P 64.

ويبقى الفقر من العوامل المؤثرة على تسرب الطفل من المدرسة نظرا لما يتبعه من نقص في التغذية وقلة وسائل الراحة، وعدم وجود المكان الملائم لمراجعة الدروس، وتقول فيرزيستون VIRSTON "أن الطفل الذي يأتي من أسرة فقيرة ذي الملابس الرثة غير النشط، الجائع، لا يبدي إلا القليل من الجهد والحماس نحو النشاط المدرسي، و لا يستفيد كثيرا من مدرسته (1)، مما يجعل الأسر الميسورة ماديا قادرة على تمويل تعليم أبنائها من أجل النجاح والتفوق، على خلاف الأسر الفقيرة التي تدفع بأطفالها للعمل المبكر من أجل مساعدتها وبالتالي حرمانهم من فرص تربوية متاحة لغيرهم، وهذا ما دفع المفكر الأمريكي إليس ELISSE إلى القول " بأن اللامساواة الإقتصادية تدفع إلى اللامساواة المدرسية، هذه الفكرة التي أكدها ريمون بودون في كتابه L'inégalité des chances ، و جاك هالاك في كتابه "A qui profite l'ecole" فبعض الأسر الفقيرة تكلف أطفالها بالعمل خارج أوقات الدراسة، قصد المساعدة في الإنتاج الزراعي أو غيره على حساب الوقت المخصص للمذاكرة والمراجعة.

فالفقر كثيرا ما يحول دون مواصلة الطفل لتعليمه، بسبب فقدانه الشروط الأساسية والظروف الضرورية للنجاح، فالطفل الذي ينشأ في أسرة فقيرة يواجه صعوبات كثيرة في البيت وفي المدرسة تعيق طموحه للنجاح خاصة إذا كان ضعيف الإرادة، ومن ضمن الصعوبات التي تعيقه، عجز أسرته عن توفير كل مستلزمات المدرسة من كتب وكراسات وملابس رياضية وغيرها من المستلزمات والتي هي في نظر الأسرة كماليات وأما في نظر المدرسة فهي من الضروريات التي لا يسمح للتلميذ بدخول القسم إلا وهي معه إضافة إلى الملابس اللائقة

1- رشاد صالح دمنهوري ، عباس محمد عوض، مرجع سابق، ص 68 .

النظيفة، فهذه الصعوبات وغيرها تواجه الطفل داخل المدرسة وأما الصعوبات التي يواجهها في البيت فتتمثل في نقص التغذية الصحية وعجز الأسرة عن تغطية مصاريف الدروس الخصوصية وعدم توفر وقت لمراجعة الدروس خاصة بالنسبة للأطفال الذين يعملون.

فكل هذه الظروف التي يفرزها انخفاض الدخل الأسري أو انعدامه تنعكس على الحالة النفسية للطفل، وتجعله حساسا لأبسط المواقف التي تواجهه في المدرسة، حيث تصبح المدرسة في نظره مصدر للألم واللامساواة الاجتماعية والاقتصادية، فينقطع عنها تارة، ويتغيب تارة أخرى حتى يتسرب منها بصفة نهائية.

2-6- العوامل الثقافية:

إن قلة اهتمام الوالدين بالنتائج الدراسية لأطفالهم أو انخفاض مستواهم التعليمي، وعدم وعيهم بأهمية التعليم، كل هذا يشكل عائقا أمام عمل التلميذ المدرسي لأن " جهل الآباء بأهمية التعليم وضعف مستواهم الثقافي يجعل البيت خال من جميع المنبهات الثقافية حتى ولو كانت الأسرة ذات دخل مرتفع (1)".

إن قلة اهتمام الوالدين بالنتائج الدراسية لأطفالهم أو انخفاض مستواهم التعليمي، وعدم وعيهم بأهمية التعليم، كل هذا يشكل عائقا أمام عمل التلميذ المدرسي لأن " جهل الآباء بأهمية التعليم وضعف مستواهم الثقافي يجعل البيت خال من جميع المنبهات الثقافية حتى ولو كانت الأسرة ذات دخل مرتفع.

1 - عبد العزيز محي الدين، الحالة الاقتصادية وأثرها على التحصيل الدراسي، رسالة دبلوم الدراسات المعقمة، قسم علم النفس، جامعة الجزائر 1984، 1983، ص 26.

إلا أن هناك أطفال يعيشون في وسط عائلي فقير معرفيا، لكنهم ينجحون في دراستهم والسبب راجع إلى مساعدة أوليائهم حيث يخصصون لهم جزءا من الدخل الأسري لتلقي دروس خصوصية، إضافة إلى مصاحبتهم لرفقاء ذوي تحصيل جيد، مما يسهل عليهم مراجعة الدروس، وهنا تكمن أهمية مستوى الوعي الثقافي للوالدين حيث أنهم يسعون إلى إنجاح أطفالهم، ويكرسون وقتهم وجهدهم لتذليل الصعوبات التي يواجهها أطفالهم، فنجاح الطفل في دراسته لا يتوقف على جهوده الخاصة فحسب، بل يساهم في ذلك الجو الثقافي الذي ينشأ فيه منذ ولادته، والذي يحضره لمختلف أنماط الأنشطة الثقافية والدراسية التي تنيرها المدرسة.

حيث يرى أفانزين AVANZIN "ن العمل الهام الذي يجب أن نعطي له اهتماما هو المستوى الثقافي للوالدين بصفة خاصة، وللعائلة بصفة عامة، ويرى أن خبرات التلميذ وثقافته ينموان حسب هذا المستوى، فإن كان هذا الأخير واسعا لدى الوالدين، فإن التعليم الذي يتلقاه الطفل في المدرسة يكون مكتملا لما يجري في المنزل، وبذلك تحصيله متوافق مع المستوى التعليمي والثقافي للوالدين، والعكس صحيح (1).

فالأطفال المنتمون إلى وسط اجتماعي راقى يمتلك ثقافة ولغة قريبة من تلك الموجودة في المدرسة، تسهل عليهم التكيف في المدرسة، وهذا ما يسميه بورديو BOURDIEU بعدم المساواة في رأس المال اللغوي والثقافي بين الطبقات الاجتماعية ودرجة التحصيل. فهو يرى بأن "قيمة رأس المال اللغوي التعليمي الذي يمتلكه كل فرد في السوق الدراسي، هي مرتبطة بالفواصل الموجود بين قدرة التحكم الرمزي

1 - وزارة التربية الوطنية ، دليل ولي التلميذ الأصل الاجتماعي والنجاح المدرسي، مديرية التقويم والتوجيه المدرسي العدد ، 26 الجزائر ديسمبر 1996 ، ص 40 .

في اللغة والمفروض من طرف المدرسة والتحكم الفعلي لها، والذي تحصل عليه من طبقة اجتماعية (1).

وأن التوازن بين العرض والطلب، على سوق المتاحف يتحقق حسب درجة الامتلاك لرأس المال الثقافي الذي يستمد قسما معتبرا من فعالياته بما يسمى برأس المال المدرسي (2).

وهذا يعني أن الرصيد الثقافي الذي يكتسبه الطفل من الوسط الذي نشأ فيه، له دور فعال في تكوين سلوكه وتحسين مستواه الدراسي، والتربية أي التزويد بالثقافة، هي بمثابة استثمار لرأس المال البشري والذي يؤهل الطفل اجتماعيا، وفشل الكثير من الأطفال في عقد علاقات اجتماعية يرجع إلى سبب النقص وضالة المستوى الثقافي للطفل بسبب عدم التكوين الجيد، وفقر المحيط الأسري للمستوى الثقافي وخاصة الوالدين، ولا يرجع إلى عجز هؤلاء الأطفال عن اكتساب المهارات بسبب الفقر الثقافي، وهذا ما بينته كل من ويشير وهيلجارد.

فالطفل الذي ينشأ في أسرة لا تهتم بالتعليم ولا تعتني به من حيث أدائه لواجباته المدرسية ولا تهين له جوا صالحا يساعده على مذاكرة دروسه، لا تكون لديه محفزات لمواصلة الدراسة، خاصة وأن الطفل يميل إلى تقليد الأب، هذا ما يجعله يتسرب من المدرسة بدون أي حرج، وهكذا يصبح الوسط الأسري تسوده ثقافة التسرب، كما تسود في بعض الأسر ثقافة تفضيل الأطفال الذكور عن الإناث، فتنشأ الأنثى

¹-Bourdieu (P) et PASSERON (J) **la reproduction élément pour une théorie du système d'enseignement**, édition minuit, Pais, P 180.

²Bourdieu (P) , **Les trois états du capital culturel**, actes de recherche en science **social**, N 30, Paris, 1970, P 03. -

منطوية تشعر بالنقص والإهانة مقارنة مع أخيها الذكر، ويكون ذلك سببا من أسباب تأخرها الدراسي فتسربها من المدرسة.

2-7 العوامل البيداغوجية:

إن لهذه العوامل تأثيرا كبيرا في عملية التسرب المدرسي، ويقصد بها مختلف العلاقات التي يكونها التلميذ في المدرسة بالإضافة إلى البرامج التي يدرسها وكيفية انتقاله وتوجيهه في المراحل الأخرى، باعتبار المدرسة المكان الثاني الذي يقضي فيه التلميذ معظم وقته، بعد البيت، لذا من البديهي أن تكون أداة التأثير في سلوكه، واكتسابه أنماط من الأفعال، لذا فهذه العوامل لها دور كبير في نجاح أو تسرب التلميذ، كما لا ننسى العلاقة بين الإدارة والتلميذ، وانعدام المساواة بين التلاميذ، وغير ذلك من التجاوزات الإدارية التي لها انعكاساتها السلبية على التحصيل الدراسي للتلاميذ، فيجد التلميذ صعوبة في التوافق مع الجو المدرسي، وما يترتب عنه من فقدان الشعور بالأمن وصعوبة التعامل مع السلطة المدرسية (1).

كم تساهم أساليب العقاب المدرسي في تسرب التلاميذ حيث تقول الباحثة منال MENEIL أنه "كثيرا ما يعالج خرق النظام المدرسي باستعمال العقاب الجماعي للتلاميذ دون الاقتصار في ذلك على من خرق النظام أو أساء التصرف فيه، مما يجعل التلاميذ يشعرون في هذه الحالة وكأنهم ليسوا بأكثر من قطيع غنم، لا أهمية لهم، ولا لكيانهم، مما يحملهم في كثير من الأحيان على الثورة والهيجان، وزيادة البلبلة، والفوضى بدلا من تخفيفها، فاستعمال أسلوب العنف والشدة وعدم مراعاة

1-Ibid, P 110.

العواطف الإنسانية للتلاميذ، والظروف التي يمرون بها أو المشاكل الخاصة التي يعانونها، تقلل الحافز لديهم وتدفعهم إلى التسرب" (1). إضافة إلى طبيعة النظام المدرسي الذي يكون أحيانا متصلبا، لا يعني بإشراك المدرسين والتلاميذ إشتراكا فاعلا في مسار إتخاذ القرار والبيداغوجية، والمغلق على العالم الخارجي وبيداغوجيات التوصيل الهادفة أساسا إلى تلقين تعلم سطحي، ونظام الإعادة (إعادة السنة)، المعتمد في حل صعوبات التعلم، ونظام توقيف التلميذ عن الدراسة لمشاكل سلوكية، والترتيب غير الدقيق للتلميذ والميز الحاسم بين النجباء والضعفاء كذلك يشكل عوامل ملائمة للتسرب من المدرسة.

-3- بعض الآراء والاتجاهات المفسرة لظاهرة التسرب المدرسي:

لقد تعددت الآراء والاتجاهات في تفسير ظاهرة التسرب المدرسي، حيث يرى بورديو BOURDIEU ومن اتبعوه أن من أهم الأساليب التي تنتشر في المجتمعات الحديثة ما يعرف بالعنف الثقافي، الذي يتضمن "فرص الطبقة المسيطرة بقيمتها ومعاييرها على الطبقات الأخرى، وهذا الفرض يتم خلال المؤسسات التي تتبع الدولة ومن بينها المدرسة، حيث يسود بها نوع من الثقافة والتي تبدو للجميع أنها تتميز بالمشروعية والموضوعية في تحقيق تقدم المجتمع، وعلى جميع الطبقات أن تخضع لها، ولكن الواقعيون عكس ذلك، إذ لا تخرج عن كونها تمثل رأي الطبقة المسيطرة (2).

ويرى هذا الاتجاه أيضا أن العنف الثقافي الذي تفرضه الطبقة المسيطرة في المدارس يتم من خلال الكثير من العمليات، مثل السلطة التربوية داخل المدرسة، وعمليات تقويم التلاميذ، وعمليات الانتقاء

1- سليمان عدلي، الوظيفة الاجتماعية للمدرسة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1999، ص 37.
2- محمد عبد الرحيم عدس، المدرسة مشاكل وحلول، دار الفكر للطباعة والتوزيع، ط 2، القاهرة، 1998، ص 36.

الاجتماعي للتلاميذ، واختلاف مستوياتها في المرحلة الواحدة في المجتمع الواحد بالإضافة إلى إرساء طرق تدريس معينة تكون بعض جوانبها مألوفة لأبناء طبقة دون الأخرى. حيث تسود ثقافة أبائهم داخل المدرسة، وهذه العمليات جميعها تبدو موضوعية يستبعد بواسطتها أبناء الطبقة الدنيا، من النظم التعليمية في الوقت الذي تعمل فيه هذه العمليات ذاتها على استمرار أبناء الطبقات المسيطرة في المدرسة وتدعيما لهذا الاتجاه يعتقد كوهن KUHN أن "البيئة المدرسية هي الأرض الأساسية التي ينمو فيها الشعور بالإحباط ويؤدي ذلك إلى انتشار السلوك الإنحرافي الذي ينشأ نتيجة لشعور هؤلاء الفقراء بوجود الفرص والتسهيلات غير المتكافئة داخل النظام المدرسي، حيث تسود قيم الطبقة الوسطى من خلال الموضوعات المفروضة عليهم، مما يؤدي هذا إلى جنوح أبناء الطبقات المتدنية اقتصاديا واجتماعيا، ومن ناحية أخرى، يمكن أن تعمل المدرسة على نمو اتجاهات غير اجتماعية لدى التلاميذ تصل أحيانا إلى درجة التمرد تجاه السلطة المدرسية وممثليها من المدرسي، كما قد تنتقل إلى مقاومة سلطة المجتمع (1).

ويوضح اليوت ELLIOT أنه قد يحدث تسرب من المدرسة باعتباره أنه "من مظاهر تخفيف حدة التوتر والضغط الذي يعانيه الأطفال في المدارس ممن تفرض عليهم معايير وقيم طبقة غير طبقتهم ومن خلال هذا الوضع نجد أن نظام المدرسة والمنهج يوضعان على أسس تقليدية تحد من الابتكار والانطلاق في التفكير، فالتلميذ يجد أمامه حقائق ثابتة عليه أن يحفظها، سواء أكان مقتنعا أم غير مقتنع بها، ويعني ذلك تعطيل الابتكار لدى التلاميذ، إذ لا يظهر إلا عن طريق

1- طلعت عبد الحميد، صناعة القهر، دراسة في التعليم والضبط الاجتماعية، سبنا للنشر، القاهرة، 1990، ص 31.

تفاعل الآراء والأفكار ومناقشة كل فكرة، والتدريب على عدم التسرع في الحكم" (1).

وأما عن فئات الأطفال المتسربين مدرسيا فقد صنفتهم المنظومة التربوية في الجزائر إلى ثلاث فئات:

"الفئة الأولى :وهم أولئك الذين تخلوا عن الدراسة بمحض إرادتهم قبل بلوغهم السن الإلزامي ست عشرة سنة خاصة الإناث في الوسط الريفي.
الفئة الثانية :وهم أولئك الذين ينقطعون عن الدراسة لأسباب مادية.
الفئة الثالثة :وهم أولئك المرغمون على مغادرة مقاعد الدراسة بعد بلوغهم ست عشرة سنة (2).

ومن خلال تحليل مسار عينة من التلاميذ قامت به منظمة اليونيسكو في الجزائر تبين أنه "من بين 100 تلميذ يلتحق بمقاعد الدراسة في السنة الأولى من التعليم الأساسي:

- 67% يصلون إلى السنة التاسعة حيث 46% منهم بعد أن أعادوا السنة مرة واحدة أو أكثر خلال مسارهم الدراسي، و 21% دون أن يعيدوا السنة ولو لمرة واحدة.

- 39% يتحصلون على شهادة التعليم الأساسي حيث 31% بعد أن أعادوا السنة مرة واحدة أو أكثر خلال مسارهم الدراسي و 8% دون أن يعيدوا ولو لمرة واحدة.

ويتضح مما سبق أن 33 % من التلاميذ الذين يلتحقون بمقاعد الدراسة في السنة الأولى لن يصلوا إلى السنة التاسعة أساسي، 61% منهم لن يتحصلوا على شهادة التعليم الأساسي (1).

1 - نفس المرجع ، نفس الصفحة.

2- طلعت عبد الحميد، ، مرجع سابق، ، ص 31.

الخاتمة

يعتبر التسرب المدرسي من المشاكل التي تعاني منها الجزائر، نظرا للعدد المرتفع للأطفال الذين يغادرون مقاعد الدراسة في وقت مبكر، وقد كان لهذه الظاهرة أسبابها وعواملها التي أدت الى تأثيرات خطيرة على المجتمع.

وهناك آثار عديدة للتسرب المدرسي على غرار اعتبار المتسربين عاطلين عن العمل بسبب عدم قدرتهم على مواكبة التقدم الصناعي الهائل، ومواكبة الصناعة الحديثة التي تفرض مستويات دنيا في الأيدي العاملة ضعف إنتاجية المتسرب في العمل، لأنه غير مؤهل لدخول سوق العمل نتيجة لضعف نضجه الاجتماعي و التربوي و عدم تقديره لقيمة الوقت .

كما نجد عددا هائلا من المتسربين يعودون إلى الأمية من جديد، وبالأخص الذين لم يتموا دراستهم الابتدائية، وخاصة إذا مارسوا أعمالا بسيطة لا تتطلب القراءة و الكتابة فالتسرب يضعنا أمام فئات أو مجاميع من أبناء الشعب الذين لم يكتمل نضجهم الاجتماعي مما يجعلهم فريسة سهلة للانحرافات الأخلاقية، فيصبحون أداة للهدم في المجتمع .

المراجع:

- 1- أحمد سعد مرسي، كوثر حسين كويك، تربية الطفل، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1997.
- 2- يوسف القاضي، الارشاد النفسي والتوجيه التربوي، ط1 ، دار المملكة العربية السعودية، بدون تاريخ.
- 3- حامد عبد السلام الزهران، علم النفس التربوي، دار القلم، الكويت، 1982.
- 4- حسين عبد الحميد، أحمد رشوان، دراسة في علم الاجتماع النفسي، ط2، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، 1999.

1 - عائشة بلعنتر وحبيبة بوكرتوتة ، التسرب المدرسي، المركز الوطني للوثائق التربوية، الجزائر، 2001 ، ص 10 .

- 5- رشاد صالح، مهوري، عباس محمد عوض، التنشئة الاجتماعية والتأخر الدراسي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، 1995.
- 6- سهير كامل أحمد، أساليب رعاية الطفل النظرية والتطبيقية، مركز الاسكندرية للكتب، 1999.
- 7- ميلودي كياند، التربية الاجتماعية في رياض الاطفال، ترجمة محمد عبد المجيد عيسى وآخرون، دار الفكر العربي، القاهرة، 1992.
- 8- عبد العزيز محي الدين، الحالة الاقتصادية وأثرها على التحصيل الدراسي، دبلوم الدراسات المعمقة، قسم علم النفس، جامعة الجزائر، 1983-1984.
- 9- محمد عبد الرحيم عدس، المدرسة مشاكل وحلول، ط2، دار الفكر للطباعة والتوزيع، القاهرة، 1998.
- 10- طلعت عبد الحميد، صناعة القهر دراسة في التعليم والضبط الاجتماعي، سيناء للنشر، القاهرة، 1990.
- 11- سليمان عدلي، الوظيفة الاجتماعية للمدارس، دار الفكر العربي، القاهرة، 1999.
- 12- منظمة الامم الطفولة، وضع الأطفال في العالم، مكتب اليونيسيف للشرق الأوسط وشمال أفريقيا، عمان، 1991.
- 13- وزارة التربية الوطنية، النظام التربوي الجزائري، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، 2002.
- 14- وزارة التربية الوطنية، دليل ولي التلميذ، الأصل الاجتماعي والنجاح المدرسي، مديرية التقويم والتوجيه المدرسي، الجزائر، 26 ديسمبر 1996.
- 15- عائشة بلعنتر، حبيبة بوكرتوتة، التسرب المدرسي، المركز الوطني للوثائق التربوية، الجزائر، 2001.
- 16- Porot (M): L'enfant et les relations familiales, edition puf, Paris.
- 17- Bourdieu (p) et Passeron (j): la reproduction element pour une théorie du systhème d'enseignement, edition minuit, Paris, p80.
- 18- Bourdieu (p): les trios états du capital culturel, actes de recherché en science social, n°30, Paris, 1970, p3.
- 19- Vansine (G): l'échec scolaire, edition p.u.f, Paris, 1984.
- 20- www.Manhal.net.